مجلة إشكالات في اللغة والأدب مجلد: 09 عدد: 5 السنة: 2020
ص: 55 - 81 E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

أساليب التّواصل اللّفظيّ في الخطاب النّبويّ، واستثمارها في مواجهة وباء كورونا (كوفيد 19)

Verbal Communication Techniques in the Prophetic Discourse, and Their Use in Facing the Coronavirus (Covid-19)

* ط.د. خالد حميدات[1]، أ.د. علي منصوري[2]

KHALED HAMIDAT[1], ALI MANSOURI[2]

جامعة البليدة 02 لونيسي علي (الجزائر)- مخبر اللّغة العربيّة وآدابها.

UNIVERSITY OF BLIDA 2 -LOUNICI ALI- (ALGERIA)

DOZDODAY@GMAIL.COM

تاريخ الإرسال:2020/04/15	تاريخ القبول:2020/10/23	تاريخ النشر: 2020/12/25

مُلخّص البحث

لقد اجتاح وباء كورونا في أيّامنا هذه جُلّ دول العالم، والمتابع لحال أمّتنا عامّة والجزائر خاصّة، يلحظ التّهاون الكبير لدى كثير من النّاس، فهم لا يلتزمون بالتّعليمات، ولا يتّخذون احتياطات الأمن، غافلين عمّا يحصده من أرواح.

ولأنّ الخطاب النّبويّ يسير مع الخطاب القرآنيّ لتأطير التّواصل اللّغويّ بين البشر، وتنظيم العلاقات الإنسانيّة، تلخّص عملنا في تحليل نماذج عليا من استراتيجيّات التّواصل اللّفظيّ عند النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام، والّتي استخدمها في إقناع النّاس والتّأثير فيهم، لنقدّمها بحلّة جديدة، متوخّين من ذلك أن يستفيد منها المربّون، والمعلّمون، ورجال الإصلاح، ورجال الأمن، وكلّ مسؤول، أو قائد، أو ناصح للنّاس، أومرشد لهم، في تنبيه النّاس، وتوجيههم التّوجية الصّحيح، ليتلاشى الوباء، ولا يجد وقودا يشتعل به، وليحسنوا التّعامل معه سلوكا وقولا وفعلا واعتقادا، كما أنّ عملَنا هذا مساهمةٌ في ربط تعلّم اللّغة ومهاراتها بالواقع الّذي نعيشه، وبقضيّة طبّيّة واجتماعيّة في آن، وهذا أمر مهمّ؛ لأنّه لا فائدة من تعلّم مهارات اللّغة إن لم يكن لها تأثير في حياتنا، وتوجيه لسلوكاتنا، وتطوير لمجتمعاتنا.

الكلمات المفتاح: خطاب نبويّ، تواصل لفظيّ، استراتيجيّة تواصل، فيروس كورونا، مرشد.

Abstract:

Nowadays, the Coronavirus has swept through most of the world, and those keeping up with the state of our nation in general and Algeria in

* خالد حميدات: DOZDODAY@GMAIL.COM

particular, will notice the carelessness of the public. Most people do not abide by the instructions, nor do they take security precautions, ignoring the lives this virus is taking everyday.

And since the prophetic discourse goes hand-in-hand with the Quranic discourse to frame linguistic communication between human beings and regulate human relationships, this work summarizes the analysis of supreme examples of verbal communication strategies of the Prophet, peace and blessings be upon him, which he used to persuade and influence people, to present said strategies in a new way, hoping that educators, reformists, security men, and every official, leader, mentor, or guide will find it useful in advising people and setting them on the right path, so that the epidemic may fade faster, and to better deal with it in terms of behavior, words, deeds, and beliefs. Also, this work is a contribution to link language learning and its skills to the reality we live in, and to medical and social issues at the same time, and this is important because learning language skills is pointless unless these skills have a positive influence on our lives, guide our behavior, or develop our societies.

Keywords: prophetic discourse, verbal communication, communication strategy, Coronavirus, guide.

مقدّمة:

الإنسان كائن اجتماعيّ، فهو يستعمل اللّغة للتّواصل مع بني جنسه، على اختلاف طبائعهم ومستوياتهم الثّقافيّة وطبقاتهم الاجتماعيّة، ويستطيع بواسطتها قضاء حاجياته والتّعايش مع غيره، وإفادتهم والاستفادة منهم، ويتوخّى في ذلك كلّه استراتيجيّات متنوّعة تعينه وتسهّل عليه تحقيق غايته، ولا بدّ أن يراعي العلاقة الّتي تربطه مع مخاطبيه قبل إنتاج خطابه؛ حتّى ينجح تواصله معهم، وهذا هو جوهر عمليّة التّواصل ولبّها.

ولعلّ عنوان ورقتنا البحثيّة هذه يبدو من البدع، أو يسبّب غرابة لدى كثير من القرّاء، ولكنّ هذه الغرابة الّتي تعتريه سَرعان ما تتلاشى، عندما نعلم أنّ في الهدي النّبويّ إشراقات وفوائدَ في كلّ مجال من مجالات الحياة، فهذا الصّحابيّ أبو ذر رضي اللّه عنه **يقول**: **"تَرَكَنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا طَائِرٌ يُقَلِّبُ جَنَاحَيْهِ فِي الْهَوَاءِ، إِلَّا وَهُوَ يُذَكِّرُنَا مِنْهُ عِلْمًا"**[1].

ولا يختلف اثنان في أنّ لغة النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام تعتبر أعلى نموذج بشريّ يمكن الاستفادة منه، وأنّ خطابه يشكّل مصدرا هامّا لمختلف العلوم، وهو يحمل من المفاهيم والفوائد

ما يغني الباحث عن غيره من الخطابات، ولا شكّ في أنّ دراسته والتّنقيب فيه يفضيان إلى علم غزير يحلّ مشاكل عويصة، ويفتح أبوابا كثيرة استغلقت في عصرنا الّذي نعيشه، وأهمّ هذه المشاكل وباء "كورونا" الّذي اجتاح مشارق الأرض ومغاربها، وحيّر العلماء والباحثين ودوّخهم.

ولأنّ المشكلة ليست طبّيّة فحسب، بل هي نفسيّة واجتماعيّة وثقافيّة وسياسيّة واقتصاديّة في آن، كانت الحاجّة ماسّة إلى تعاون جميع الاختصاصات على اختلاف اهتماماتها ورؤاها وتعدّد مشاربها، ومحاولتها المساعدة –ولو بجهد المقلّ– في القضاء على هذا الوباء واستئصال شأفته.

وسيكون تركيزنا على نماذج عليا من استراتيجيّات التّواصل اللّفظيّ عند النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام الّتي استخدمها في إقناع النّاس والتّأثير فيهم، معتمدين في ذلك على المنهج الوصفيّ، والمنهج التّاريخيّ، والمنهج الاستنباطيّ، وهدفنا في ذلك كلّه الاستفادة منها، وتقديمها لكلّ مربّ، ومعلّم، ومرشد، أورجل إصلاح، أورجل أمن، أوكلّ مسؤول، أو قائد، أو ناصح للنّاس، أومرشد لهم في زمن وباء كورونا، وقد اصطلحنا في بحثنا على تسمية هؤلاء جميعا بـ "**المُرشد**".

وتتمثّل المشكلة الأساسية لهذا البحث في السّؤالين الآتيين:

- ✓ ما هي أهمّ استراتيجيّات التّواصل اللّفظيّ لدى النّبي عليه الصّلاة والسّلام؟
- ✓ كيف يمكن إفادة المرشدين من هذه الاستراتيجيات للتّقليل من انتشار فيروس كورونا؟

وقد سعى هذا البحث إلى الإجابة عن هذه الأسئلة، انطلاقا من معالجة الآتي:

- ✓ العناصر التّي تشكّل الخطاب، وخصائصها في ظلّ الخطاب النّبويّ.
- ✓ أساليب التّواصل اللّفظيّ في الخطاب النّبويّ، واستثمارها في مواجهة وباء كورونا.

أوّلا: العناصر التّي تشكّل الخطاب، وخصائصها في ظلّ الخطاب النّبويّ:

لا بدّ أن يؤسّس الخطاب وفق استراتيجيّات معيّنة وشروط محدّدة، يؤثّر بها المخاطِب في الآخرين، ويحملهم على التّفاعل معها؛ فما هي عناصر تشكّل الخطاب؟، وما هي الشّروط والاستراتيجيّات الواجب على الذّوات مراعاتها في بناء الخطاب، حتّى نضمن نجاحه في ضوء المعطيات الّتي نستقيها من الخطاب النبويّ الشّريف؟

حتّى يُبنى الخطاب، ينبغي وجود مخاطِب ومخاطَب؛ أي إنّ إنتاج الخطاب وفهمَه عمليّتان متكاملتان غيرُ منفصلتين، وفي ما يلي نُبيّن أهمّيّة كلّ عنصر، ولن نركّز كثيرا على التّعريفات، وإنّما سنعرضها في عُجالة بما يُتيح الفهم.

1. الخطاب:

الخطاب هو "كلامٌ مباشر أو غير مباشر، شفويّ أو مكتوب، ويلقي على المستمعين قصد التّبليغ والتّأثير. ويختلف نوع الخطاب باختلاف مضمونه والمواقف الّتي يُلقى فيها، ومن هنا يتعدّد الخطاب، فمنه الخطاب السّياسيّ، والاجتماعيّ، والّديني، والعلميّ، والتّعليميّ... إلخ"[2].

ومن بين مفاهيم الخطاب: "الكلامُ الّذي يفهم منه المستمعُ شيئا"[3]، لذا لا بدّ أن يحمل الخطاب معنى لكي يستطيع المستمعُ استنباطه وفهمه. لكنّ هذا التّعريف انتُقد بأنّه غير دقيق، **فالآمديّ** يرى أنّه "يدخل فيه الكلام الّذي لم يقصد المتكلّم به إفهام المستمع"[4]، لذا على المرشد انتقاءُ كلامه بدقّة ليكون بعيدا عن التّأويلات غير المقصودة منه، فالأصل في إنتاج الخطاب إيصالُه إلى المستمع بغية إفهامه، وبدون تحقيق هذه الغاية يصبح ذلك عبثا.

وقد قدّم **الآمديّ** للخطاب تعريفا آخر أكثر دقّة بـ "أنّه اللّفظ المتواضع عليه، المقصود به إفهام من هو متهيّئ لفهمه"[5]. ومن خلال هذا التّعريف، نجد **الآمديّ** -إضافةً إلى أن يكون قصدُ المتكلّم إفهامَ السّامع- يرى ضرورة اتّفاقهما على اللّفظ، وأن يكون المستمع قادرا على فهم قصد المتكلّم، كما أنّه قد أخرج من تعريفه للخطاب الحركاتِ والإشارات؛ لأنّها عناصر غير لغويّة وليست ألفاظا، لكنّها تساعده بقوّة في فهم الخطاب، وأخرج ما لم يُقصدْ به إفهامَ المستمع، والكلامَ الموجّه إلى مستمع غيرِ مهيّئ للفهم، لأنّ الفائدة كلّ الفائدة هي إفهام المتلقّين، لذا كان لزاما على المرشد التّركيز على هذا المقصد، وتحرّي استعداد المتلقّين لاستيعاب كلامه، وجعل خطابه دقيقا قابلا للفهم.

ونحن لم نتعمّق أكثر في تقديم تعريفات أخرى، ولعلّنا نضيف تعريفا آخر يعضُد التّعريف السّابق وذلك عند **"إميل بنفنست"** إذ يقول: "يجب أن يُفهم الخطاب بأوسع معانيه على أنّه كلّ ملفوظ يفترض متكلّما ومستمعا، وفي نيّة الأوّل التّأثير على الآخر بأيّة طريقة"[6].

2. المتكلّم (المخاطِب)،والمراد به في بحثنا "المُرشد":

للمتكلّم مكانة هامّة وحسّاسة في العمليّة التّخاطبيّة، بل هو أهمّ ركيزة فيها؛ كونه "الذّات المحوريّة في إنتاج الخطاب، لأنّه هو الّذي يتلفّظ من أجل التّعبير عن مقاصد معينة، وبغرض تحقيق هدف فيه"[7]؛ وهو ينتج خطابات مختلفة تتضمّن معاني ظاهرة وأخرى غير ظاهرة، لا يتسنّى فهمها إلّا بعد الإحاطة بطبيعته؛ لأنّ المعنى مرتبط بما يقصده هو.

ولهذا نجد "الدّراسات العربيّةَ قد أولته منذ بداياتها أهمّيّة بالغة، واعتبرته طرفا أساسيّا في عمليّة الكلام، وعنصرا فعّالا في تحديد خصائص النّصّ"[8]، لذلك فالمتكلّم هو المسؤول الأوّل في العمليّة التّخاطبيّة؛ لذا حرصت الدّراسات اللّغويّة المعاصرة على ردّ الاعتبار له.

وقد اعتنى علماء البلاغة بالمخاطِب، وبأساليب إنجاح رسالته، لهذا جعلوا له شروطا محدّدة، يجب عليه اتباعها، ووضعوا بين يديه الآليّاتِ الكفيلةَ بتحقيق مراده، ليبلغ المعنى إلى قلب المخاطَب وعقله، فيُؤثّر فيه ويستميله، ولعلّ هذا ما بيّنه "**أبو هلال العسكري**" في قوله: "ينبغي للمتكلّم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها، وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات؛ فيجعل لكلّ طبقة من ذلك كلاما ولكلّ حالة من ذلك مقاما، حتّى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات"[9].

وبرجوعنا إلى الأحاديث النّبويّة وما تحمله من هدي نبويّ يمكننا أن نحدّد بعض الشّروط الّتي ينبغي توفّرها في المخاطِب "المرشد"، ونوردها كالتّالي:

أن يبتعد عن التكلّف والتّصنّع في اللّغة والحركة الّتي يستخدمها، حتّى لا يبتعد عن الحدّ المعقول في استخدام أساليب التّواصل، ممّا قد يؤدّي إلى جوّ من الارتباك والبلبلة لدى النّاس، بل لا بدّ من أن يكون تواصله معهم موافقا للهدي النّبويّ، بأن تظهر عليه الرّحمة والشّفقة بالنّاس وسهولة الأخلاق. وممّا يدعم تواصله أن يكون نصوحا محبّا للخير، يستشعرُ الرّحمة بالمنصوح وذلك باب عظيم قلَّ من يحسن الدّخول فيه، إذ إنّ الكثيرين يظنّون أنّ النّصيحة تُسدى بأيّة صورة دون مراعاة لمكانها وزمنها وسياقها وما تقتضيه أحوالُ النّاس، وومقاماتُهم، وطبائعهُم. والنّصح من أجلّ مهامّ الرّسل والمربّين والمرشدين وأبرزها، وهو خُلقٌ يدلّ على طيب المعدن، وعلى شخصيّة عظيمة، تصلح للقيادة والتّوجيه، وإنّه لا يكون في أمور الدّين فحسب، كما يتوهّم البعض، إنّما يكون أيضا في أمور الدّنيا.

وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ معظم أدلّة الشّرع تنصّ على جواز الدّعاء برفع الوباء وعدم التّعرّض له، وأخذ الأسباب للوقاية منه، فمن ذلك قوله صلّى الله عليه وسلّم في الحديث الّذي أخرجه البخاريّ وغيره في صحيحه: "**اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَفِي مُدِّنَا، وَصَحِّحْهَا لَنَا، وَانْقُلْ حُمَّاهَا إِلَى الجُحْفَةِ**"[10]. فدعاء النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام هو التجاء منه إلى ربّه سبحانه وتعالى عند وقوع البلاء، وطلب لرفعه. ونلحظ في

هذا الحديث اعتناءه بأصحابه ومراعاته لمشاعرهم، وخشيتَه من أن يبغضوا مُهاجرَهم؛ أي المدينة، ويستفاد من ذلك أنّه ينبغي لكلّ من له القدرة على التّواصل مع النّاس وتوعيتِهم من خلال منصبه؛ أن يسعى إلى تحبيبهم في وطنهم، وفي أحيائهم، وأن يدعوهم إلى الإكثار من الدّعاء والتّضرّع لرفع الوباء، ولْيعلمْ أنّ هذا لا يتنافى مع الإيمان بالقضاء والقدر.

ولا بدّ للمرشد في زمن الوباء أن يذكّر النّاس بما لهم من أجر عظيم، إذا هم بقوا في بلادهم ومكثوا في بيوتهم صابرين محتسبين، وأنّ ذلك كأجر شهيد، وإن لم يموتوا، ومصداق هذا الكلام ما أخبر به عليه الصّلاة والسّلام عائشة رضي الله عنها "«**أَنَّهُ كَانَ عَذَابًا يَبْعَثُهُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، فَجَعَلَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، فَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَقَعُ الطَّاعُونُ، فَيَمْكُثُ فِي بَلَدِهِ صَابِرًا، يَعْلَمُ أَنَّهُ لَنْ يُصِيبَهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ، إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الشَّهِيدِ**»"[11].

وينبغي اختيار أشخاص محبوبين من كلّ حيّ من الأحياء، تكون لديهم مكانة وقَبول بين النّاس،حتّى يكون كلامهم أشدّ إفهاما وتأثيرا.

3. المخاطَب (والمراد بهم في بحثنا "النّاس الّذين يُخشى إصابتهم بفيروس كورونا"):

بعد أن ينتج المتكلّم الخطابَ، يكون للمخاطَب دورُ مساعدَته في إنتاجه، ولذلك، فعلى المتكلّم قبل وأثناء إنتاج خطابه أن يُقيم وزنا واعتبارا لمتلقّيه، ويفكّر جيّدا في طريقة بناء خطابه؛ لأنّ نجاحه مرتبط بمعرفة حال المخاطَب، أو بتوقّع تلك الحال، والافتراضُ المسبق أساس في النّظام البلاغيّ العربيّ، فالعناية في المقام الأوّل تكون بالمخاطَب، بغية التّاثير فيه، وتحقيق المراد من الخطاب ومن العمليّة التّواصليّة ككلّ.

والمتلقّي لا يقلّ أهمّيّة عن المخاطِب، فهو الّذي يحدّد نوعَ الخطاب، والّذي يختلف حسب الموقف الّذي يجمعهما، "فالمخاطب عنصر من عناصر المقام، وهو اقتضاء الموقف، وقد أولاه البلاغيّون عناية كبيرة...،ممّا أسموه مراعاة حال المخاطب، وهو المستمع الّذي عناه العاني بما صدر عنه من مقام..."[12]، وقد ازدادت العناية به في العصر الحديث، بعد انتقال الاهتمام من المبدع والنص إلى القارئ والمتلقي، وظهور نظريّة القراءة والتّلقّي.

والمتلقّي–في بحثنا– هو الشّعب بمختلف أطيافه، وهم الماكثون في البيت، أو المتمرّدون الّذين لم يتقيّدوا بالتّعليمات، ولا شكّ في أنّ كلّ واحد من هؤلاء قد سمع بالفيروس، أو على الأقلّ لديه

معلومات عنه، غير أنّ الهوى قد يطغى على الإنسان، ومن الصّعب أن يخضع النّاس لأمر واحد، وقد قيل قديما: "**لو مُنع النّاس عن فتّ البعر لفتّوه، ولقالوا: ما نهينا عنه إلّا وفيه شيء**"[13].

لكنّ هذا لا يمنعنا من أن نسعى جادّين لتدارك الوضع وتوعية وإنقاذ ما يمكن إنقاذه، وعلى (المرشد) أن يعرف أنّ معظم النّاس يعيشون في حالة من التّرقّب والخوف على أنفسهم، وعلى أبنائهم، وكلّ منهم يخشى أن ينقل إلى عائلته الفيروس، أو أن ينقلَه غيرُه إليه، وعليه مراعاة الحالة النّفسيّة لهم، لتجنّب الانفعالات النّفسيّة، وتنبيههم إلى أنّ هذا الفيروس لا يصيب الإنسان إذا أخذ الاحتياطاتِ اللّازمةَ، كما عليه أن يَعلم الحالة الاجتماعية لكلّ بلدة أو حيّ يُلقي فيه خطابَه وتوجيهاتِه، فهناك أحياء فقيرة، وأخرى غنيّة، وأخرى بينهما، وهذه المعطيات سوف تساعده في بناء خطابه وإيصال رسالته.

4. السّياق:

في التّعريف اللّغويّ للسّياق ذهب **ابن فارس** أنّ: "السّين والواو والقاف أصل واحد وهو حدو الشّيء يقال ساقه يسوقه سوقا، والسّيقة ما استيق من الدّواب، ويقال سقت إلى امرأتي صداقها وأسقته، والسّوق مشتقة من هذا، لما يساق إليها من كل شيء، والجمع أسواق، والسّاق للإنسان وغيره، والجمع سوق، إنما سمّيت بذلك لأنّ الماشي ينساق عليها، ويقال امرأة سوقاء ورجل أسوق، إذا كان عظيم السّاق، والمصدر السّوق"[14].

وقد اعتنى علماء البلاغة بالسّياق، وخصّوه بعناية خاصّة باعتباره "يضمّ المتكلّم، و السّامع، أو السّامعين، و الظّروف أو العلاقات الاجتماعية، و الأحداث الواردة في الماضي و الحاضر... والمعنى المقامي يمثل ظروف أداء المقال زائد القرائن المقالية الأخرى..."[15]، لذا فكلّ من المقام والسّياق مقترنان بالاستعمال اللّغويّ والمعارف الثّقافيّة.

ويرتبط السّياق بطرفي الكلام المخاطِبِ والمخاطَبِ، ويعرّفه "**جون ديبوا**" كذلك على أنّه "جملة الشّروط الإجتماعيّة الّتي تؤخذ بعين الإعتبار لدراسة العلاقات الموجودة بين السّلوك الإجتماعيّ واستعمال اللّغة... وهي المعطيات المشتركة بين المرسل والمتلقّي والوضعيّة الثّقافيّة والنّفسيّة والتّجارب والمعلومات الشّائعة بينهما"[16].

يتبيّن من هذا التّعريف أنّ "**جون دوبوا**" ركّز على عناصر خارج لسانيّة، في تعريفه "للسّياق"، تتمثّل في الشّروط الاجتماعيّة الّتي يقوم خلالها الخطاب، بين مرسل ومتلقّ في زمان

ومكان محدّدين، وهذا مبحث هامّ من مباحث التّداوليّة، والّتي هي "نظرية استعماليّة، تدرُس اللّغة في استعمال النّاطقين بها، ونظريّة تخاطبيّة تعالج شروط التّبليغ والتّواصل الّذي يقصد إليه النّاطقون من وراء الاستعمال للّغة"[17].

ولا شكّ في أنّ تعرّف المرشد على السّياق الّذي يُلقي خطابَه فيه مدعاة إلى إتقانه وتحقيق الغاية منه، وهي إفهامُ المتلقّين وإقناعهم، "فلكلّ من المتكلّم والمتلقّي اعتقادات وأعراف مشتركة بينهم، تجعل الخطاب ينبع من خلال هذا الاعتقاد والمرجعيّةِ المعرفيّة الّتي يتمّ التّواصل بها، وهذا الإطار الثّقافيّ يمثل للمتخاطبين مرجعيّة التّفاهم والتّواصل"[18].

لذا فالمرشد يكون على دراية بمكوّنات السّياق الّذي يحيط بعمليّة الخطاب، ملمّا بما يجعله مخاطِبا، وما يجعل من خطابه خطابا، وعلى مكان وزمان الخطاب، وعلى مخاطَبيه، وظروفهم الاجتماعيّة، وأحوالهم النّفسيّة؛ لتجنّب انفعالاتهم السّلبيّة، باختصار يجب أن يراعي جميع الظّروف المحيطة بالحدث الكلاميّ.

وقد راعى النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام في خطاباته أحوال النّاس ومتغيّرات الزّمان والمكان، لذا تساعدنا جوانب من منهجه في التّواصل في تنظيم علاقاتنا الإنسانيّة، ومواجهة ما يعرض لنا من مشاكل وأزمات تهدّدنا. ونذكر هنا أنّ الزّمان والمكان أهمّ مكوّنات السّياق، ولا يُنجَزُ خطابٌ ما دون مراعاتهما، وعلى المخاطِب أن يدرك لحظة التّلفّظ بالخطاب والفضاءَ الّذي يجري فيه، ونقصد به المكان، وهما وجهان لعملة واحدة، فـ "للسّياق دور فعّال في تواصليّة الخطاب وفي انسجامه بالأساس، وما كان ممكنا أن يكون للخطاب معنى لولا الإلمام بسياقه"[19].

فالمكان هو الأرض الّتي حلّ فيها الوباء، والزّمان هو زمن وقوع هذا البلاء، وعلى المرشد أن يعيشهما و يتفاعل معهما، ويحسّ بالمشكلة على أنّها مشكلة شخصيّة، وعليه أن يتقن استخدام الإشارات الزّمانيّة والمكانيّة في تقديم تعليماته ومعلوماته وفي حواراته ومناقشاته.

ثانيا: أساليب التّواصل اللّفظيّ في الخطاب النّبويّ واستثمارها في مواجهة وباء كورونا:

لقد كرّم الله تعالى الإنسان وفضّله على سائر مخلوقاته، وجعله كائنا اجتماعيّا،وعلى الرّغم من أنّ الكثير من بقيّة المخلوقات هي كذلك، إلّا أنّه مَيّزه عنها بالعقل الّذي جعله يزداد عليها تفضيلا، وجعله هذا العقلُ يعيش حياته ضمن مجموعات تنظّمها قوانين وقيم ومبادئ ثابتة، ثمّ جاء الشّرع السّماويّ المنزّل على الأنبياء ليصحّح الخاطئ منها، ويزيد الصّحيح منها سلامة

وتقويما، ورسّخ قيما وقوانينَ جديدة، بقيت مسلّمات ثابتةً، تعين الإنسان، وتدعمه في مختلف نواحي حياته العلميّة والنّفسيّة والاجتماعية والأخلاقيّة.

فالإنسان لا يمكنه أن يعيش بمعزل عن بني جنسه، ونمطُ حياته يفرض عليه التّواصل معهم، ويستلزم ذلك اتّحادَهم، وتضامنَهم، وتعاونَهم، في ما يضمن لهم الحياة على الأرض، لذلك نسجوا بينهم شبكة من العلاقات، كوّنوا بها حضارات عبّرت عن وجودهم ولا تزال.

ويسير الخطاب النّبويّ مع الخطاب القرآنيّ لتأطير التّواصل بين البشر، وتنظيم العلاقات الإنسانيّة، فإن كان الخطاب القرآنيّ حاضرا لفظا ومعنى، فإنّ الخطاب النّبويّ حاضرٌ نظريّا وعمليّا فقد خاطب عليه الصّلاة والسّلام النّاس بقوله، وعلّمهم بفعله وهم ينظرون، لتصل إلينا السّنة قوليّة وفعليّة، وهو القائل عليه الصّلاة والسّلام: "**صلّوا كما رأيتموني أصلّي**"[20].

وقبل أن نعرض أساليب التّواصل في الخطاب النّبويّ، ارتأينا أوّلا أن نعرّف بإيجاز التّواصلَ، والتّواصل اللّفظيّ.

ـ التّواصل لغة: "وصل: وَصَلْت الشَّيْءَ وَصْلًا وَصِلَةً، والوَصْلُ ضِدُّ الهِجْران، واتَّصَلَ الشّيءُ بِالشَّيْءِ: لَمْ يَنْقَطِعْ، ووَصَلَ الشّيءُ إلى الشَّيْءِ وُصُولًا وتَوَصَّلَ إليه: انْتَهَى إليه وبَلَغه"[21]. أما **اصطلاحا**، فله تعريفات عديدة، أهمّها:

أولا: هو "عمليّة نقل الأفكار والتّجارب، وتبادل المعارف والمشاعر بين الأوات والأفراد والجماعات"[22]. ويتبيّن لنا من خلال هذا التّعريف أنّ الهدف الأساس من التّواصل هو نقل المعلومات، وهذا النّقل يحتاج إلى أدوات معيّنة تُظهر المعنى، وتوضّح المقصود.

ثانيا: هو "عمليّة إرسال واستقبال للمعلومات وللأفكار وللآراء (رسالة) بين طرفين (مرسل ومستقبل)"[23]. إذن؛ العناصر الرّئيسيّة للتّواصل ثلاثة هي: مرسل، مستقبل، رسالة.

والتّواصل نوعان: لفظيّ، ويتمثّل في الكلام المنطوق، وغير لفظيّ يتمثّل في ما هو خارج عن اللّغة، كلغة الجسد من إشارات وحركات وإيماءات، وكاللّباس والزّينة والعادات والطّقوس.

ـ التّواصل اللّفظيّ: هو إيصال الرّسالة إلى المتلقّي بغية إقناعه، أو تزويده بمعلومة ما، وأداة ذلك هي الألفاظ، وهو يهتمّ في الأساس بالكلمات المكتوبة أو المنطوقة.

وقد استخدم نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم العديد من وسائل التّواصل في خطاباته لتوجيه الصّحابة آنذاك، وكان ذلك بواسطة أساليب لغويّة متعددة أثّرت فيهم وجعلتهم في موقع استقطاب؛ فمن المستمع إلى المدرك إلى المقتنع بالفكرة إلى المنفّذ لها، ولعلّ أبرز هذه الأساليب:

1. الحوار:

الحوار أسلوب من أساليب التّواصل ونقل الأفكار والخبرات والتّجارب بين النّاس، وفيه عرض للآراء بطرائق مختلفة، تقوم على المراجعة بين المتحاورين في الكلام، للوصول إلى غايات محدّدة، وهو: "وسيلة تستخدم الإقناع الذّاتيّ لتمحيص الأفكار والمعلومات السّابقة، واختبارها...، وهو طريقة تقوم على المناقشة المتبادلة بين طرفين وتتخلّلها أسئلة وإجاباتها"[24].

وقد كان النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام ذا تفوّق بيانيّ كبير، لذا استطاع جذب المتلقّين والتّواصل معهم بفعاليّة وإقناعهم والتّأثير فيهم من خلال حواراته المتنوّعة، لذا "فالحوار عنده ذو جاذبية، وله أثر فاعل في التّغلغل في النّفس البشريّة بإيقاظ مشاعرها، وإثارة دواعي التّفكير، وأسباب الوعي بما يدور حوله، وله جدّة في عرض الفكرة بالخروج على الأسلوب السّرديّ.."[25].

وقد تضمّن خطاب النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام الكثيرَ من أساليب التّواصل النّافعة، يستفاد منها العديد من المهارات التّدريبية النّاجحة الّتي تساعد النّاس في حياتهم، والحوار يعدّ من أهمّ تلك الأساليب النّبويّة، وقد تميّز بتنوّع في الطّرح وفي طريقة العرض، ما جعل النّاس يقبلون على دعوته عليه الصّلاة والسّلام، وينتظرون بشغف وقت قدومه عليهم، بل ويترقّبون ساعة حواره معهم، أو مع غيرهم، ليستفيدوا من ذلك في ما ينفعهم، وقد كان تنوّع أساليب الحوار النّبويّ تبعا للمواقف والأحداث والظّروف والأشخاص.

ومن نماذج الحوار النّبويّ الحديث الشّريف: "**عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ، قَالَ: بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ، مَا شَأْنُكُمْ؟ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ، فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللهِ، مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي، قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ» أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ:**

يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ، وَقَدْ جَاءَ اللهُ بِالْإِسْلَامِ، وَإِنَّ مِنَّا رِجَالًا يَأْتُونَ الْكُهَّانَ، قَالَ: «فَلَا تَأْتِهِمْ» قَالَ: وَمِنَّا رِجَالٌ يَتَطَيَّرُونَ، قَالَ: " ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ، فَلَا يَصُدَّنَّهُمْ – قَالَ ابْنُ الصَّبَّاحِ: فَلَا يَصُدَّنَّكُمْ – " قَالَ قُلْتُ: وَمِنَّا رِجَالٌ يَخُطُّونَ، قَالَ: «كَانَ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ يَخُطُّ، فَمَنْ وَافَقَ خَطَّهُ فَذَاكَ» قَالَ: وَكَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرْعَى غَنَمًا لِي قِبَلَ أُحُدٍ وَالْجَوَّانِيَّةِ، فَاطَّلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الذِّيبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ، آسَفُ كَمَا يَأْسَفُونَ، لَكِنِّي صَكَكْتُهَا صَكَّةً، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَيَّ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا أُعْتِقُهَا؟ قَالَ: «ائْتِنِي بِهَا» فَأَتَيْتُهُ بِهَا، فَقَالَ لَهَا: «أَيْنَ اللهُ؟» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «مَنْ أَنَا؟» قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: «أَعْتِقْهَا، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»"[26].

ويستفاد من هذا الحديث الشّريف: خلُقه عليه الصّلاة والسّلام في تعليم النّاس وتنبيههم على أخطائهم بالرّفق واللّين، فهو القائل لعائشةَ رضي الله عنها: "**«إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ»**"[27].

فالصّحابيّ الجليل مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ رضي الله عنه، قد كان حديث عهد بجاهليّة، فاستاء من فعل الصّحابة رضي الله عنهم، وخاف على نفسه من الشّتم والضّرب بعد الصّلاة، لكنّه فوجئ بمعاملة النّبي عليه الصّلاة والسّلام له، ورفقه به، وعدم مؤاخذته بخطئه، وهو ما جعله يصفه بقوله: "**مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ**".

ثمّ واصل الصّحابي الجليل طرح الأسئلة والنّبي عليه الصّلاة والسّلام يصغي إليه، ويجيبه بصدر رحب، دونما ضجر أو ملل، فبيّن له عدم جواز الذّهاب إلى الرّهبان، وأنّ الطّيرة شيء يجد المتطيّر في نفسه، ولا تأثير له في الواقع.

ولا يكتفي النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام بالنّصح فقط، بل إنّه قد يلجأ أحيانا إلى تعظيم الخطأ في عين المخطئ، حتّى يحترز منه في المستقبل، ومصداق هذا قول الصّحابي الجليل: "... **فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَيَّ**".

لذا فإنّ من أهم صفات المرشد النّاجح أن يكون ذا خلق عال، رفيقا بالنّاس، سهل المعاملة معهم، لا يصرخ في وجوههم، ولا يوبّخهم إن رأى منهم مخالفة للتّعليمات، وتهاونا في الأخذ

باحتياطات الوقاية من الفيروس؛ لأنّ من طبيعة النّفس البشريّة رفضَ اللّوم والتّوبيخ، وحبَّ الكلام الطيّب، فأيّ إنسان مهما كانت أخلاقه، ومهما كان مزاجه، فإنّه يمكن إقناعه وتغيير سلوكه.

وإنّ على المرشد أن يكونا صبورا، لا يضجر من كثرة الأسئلة الملقاة عليه، بل يصغي إلى النّاس، ويجيبهم، ويبدي رأيه في أخطائهم، ويعظّمها في أنظارهم دون التّقليل من شأنهم، فإذا رأى من أحد مثلا اختلاطا بالنّاس، من دون استعمال للّفام، نصحه برفق، وبيّن له خطر ذلك على نفسه، متّبعا نهج النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام.

ولعلّ أكثر من يستفيد من أساليب الحوار النّبويّ هم رجال الإعلام والصّحافة، وأصحاب قنوات اليوتيوب، وصفحات مواقع التّواصل الاجتماعيّ، ممّن لديه حوارات كثيرة مع النّاس، وممّن له متابعون ومشاهدون كثر. ولكي ينجح الحوار، لا بدّ لكلّ منهم أن يوظّف مهارات وأساليبَ مؤثرة، تنال إعجاب المتلقّين واهتمامهم، وتلفت انتباههم، بل إنّ الهدف الحقيقيّ من ذلك، "أن يجعل الجمهور طوع بنانه"[28]، ويساعده ذلك في تقوية الحجّة وبلوغ الغاية من الخطاب.

وحبّذا لو دُعم الحوار بوسائل نافعة، كالأرقام والبيانات، فقد "تُستخدم الإحصائيّات لتوضيح نسبة الأمثلة من نوع معيّن، ويمكنها أن تكون مؤثّرة ومقنعة، ولا سيما كبرهان في المواقف الّتي لا يمكن للمثال المنفصل فيها أن يؤدّي نفس الغرض"[29]، ولا شكّ في أنّ النّاس كلّ يوم يترقّبون ما أسفرت عنه نتائج الإصابة بالفيروس، من موتى ومعافين ومصابين جدد.

وممّا يجعل الحوار إيجابيّا، استخدام اللّغة العربيّة الفصيحة؛ لأنّ ذلك يضفي مزيدا من الرّسمية والقيمة لما يقوله المرشد، ولا بدّ من الابتعاد عن الرّطانة واللّغة الّتي لا يفهمها إلّا الخاصّة.

وإنّ من الصّعب الإحاطةُ بأساليب الخطاب النّبويّ، فهذا يحتاج إلى مجلّدات عديدة وبحوث معمّقة، لكنّنا سنعرض لإضاءات من السّنة النّبويّة الشّريفة تُظهر شيئا من ذلك، وما سنذكره من أساليب الخطاب النّبويّ في ما يلي من بحثنا، يعرض أيضا الأساليبَ الّتي استخدمها النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام في حواراته، لذا فقد أردنا تجنّب التّكرار، والغاية من ذلك واحدة.

2. التّكرار:

يعتبر التّكرار إحدى أشكال التّواصل الهامّة، وهو وسيلة تفيد التّقرير، "وهو أسلوب تعبيريّ يصوّر انفعال النّفس بمثير ما، واللّفظ المكرّر هو المفتاح الّذي ينشر الضّوء على الصّورة لاتّصاله الوثيق بالوجدان، فالمتكلّم إنّما يكرّر ما يثير اهتماما عنده، وما يحبّ أن ينقله إلى نفوس مخاطبيه،

أو من هُم في حكم المخاطبين، ممّن يصل القول إليهم على بعد الزّمان والدّيار"[30].

والتّكرار أهمّ وسائل التّواصل اللّفظيّ في الخطاب النّبويّ، لأنّ "الرّسول عليه الصّلاة والسّلام يخاطب النّاس على قدر عقولهم، والفكرة الواحدة تتلقاها الأذهان بسرعات متفاوتة، وتترسّخ دلالتها في العقول بتدرّج، بحيث يحمل الدّالّ دلالة، ويضيف الدّال المكرّر دلالة أخرى"[31] .

والتّكرار يُعدّ من سُنن العرب في كلامها، ظهر بوفرة في شعر العرب القدماء وخطبهم، قال **ابن فارس**: "ومن سنن العرب التّكرير والإعادة إرادة الإبلاغ، بحسب العناية بالأمر"[32].

ولمّا كان نبيّنا عليه الصّلاة والسّلام عربيّا يتكلّم بلسان العرب، وينهج أساليبهم وطرائقهم في الكلام، فقد استعمل التّكرار، وجعله وسيلة من وسائل الدّعوة، وطريقة من طرق تبليغها، من أجل تأكيد المعنى، أو التّرغيب في أمر ما، أو التّحذير منه، أوالتّهديد والوعيد، إلى غير ذلك من الأغراض الّتي برع فيها وأجاد. يقول "**جرونيباوم**": "يجب ألاّ يغرب عن البال أنّ محمّداً إنّما كان يبغي أن يعلّم وأن يصلح، والواعظ والمعلّم مجبران بحكم عملهما في ذاته إلى التّكرار، بلْ إلى التّكرار بالألفاظ نفسها تقريباً"[33].

وينبغي الحذر من أسلوب التّكرار؛ لأنَّ كثرته قد تسبّب مللا لدى المستمع، لذا فلا بدَّ لمن احتاج إلى تطبيقه أن يُمارسه بوعي، وبالقدر الّذي يحقّق الغرض، يقول "**الخطابيّ**" في ذلك: " التّكرار قسمان أحدُهما مذموم، وهو ما كان مستغنا عنه غير مستفاد به زيادة معنى، حينئذ يكون فضلا من القول ولغوا، والثّاني ترك التّكرار في الموضع الّذي يقتضيه وتدعو الحاجة فيه"[34].

ويمكننا أن نقسّم التّكرار في الأحاديث النّبويّة إلى ثلاثة مجالات، يمكننا الاستفادة منها في مواجهة فيروس كورونا:

أ . التّكرار من أجل الإفهام:

لقد كان النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام يكرّر الكلام ليُفهم عنه، **"عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلاَثًا، حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ، وَإِذَا أَتَى عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلاَثًا"**[35]. ولا شكّ في أنّ إعادة الكلام ثلاث مرّات يكون "إمّا لأنّ من الحاضرين من يقصر فهمه عن وعيه، فيكرره ليُفهم، وإمّا أن يكون القول فيه بعضُ الإشكال، فيتظاهر بالبيان"[36].

"وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: تَخَلَّفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ سَافَرْنَاهُ، فَأَدْرَكَنَا وَقَدْ أَرْهَقْنَا الصَّلاَةَ، صَلاَةَ العَصْرِ، وَنَحْنُ نَتَوَضَّأُ، فَجَعَلْنَا نَمْسَحُ عَلَى أَرْجُلِنَا فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ «وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا»"[37]. فتكرار الكلام هنا مقصودٌ لذاته، لأنّ الهدف منه تعليم المتلقّين وتوجيههم، "لأنّ إعادة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم كلامَه ثلاث مرّات إنّما كانت لأجل أن يفهموا كلامَه حقّ الفهم، ولا يفوتهم شيء منه "[38].

وفي هذين الحديثين دليلٌ على فضل إعادة الكلمة أكثر من مرّة، ليتمّ فهمها جيّدًا، ولا يكون لأحد حجّة في أنّه لم يسمع أو لم يعقل، ذلك كان هديه عليه الصّلاة والسّلام عندما يتحدّث.

لذا، فعلى على المرشد تَكرار كلامه ثلاثا ليُعقل ويُفهم عنه، فبعض النّاس ضعيف السّمع، أو بطيء الفهم، أو قد لا يصله الكلام في المرّة الأولى إن كان يسكن في مكان عال مثلا، وقد يعطيه التّكرار فرصة ليركّز السّمع أكثر، فتصله الفكرة، ويفهم المراد.

ب . التّكرار لتعظيم شأن المُتكلَّم عنه:

"عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟» ثَلاَثًا، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ – وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ – أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ»، قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ!"[39]. لقد كرّر الرّسول عليه الصّلاة والسّلام عبارة "**ألا وقول الزور**" لبعث الاهتمام، والتّنبيه إلى خطورة شهادة الزّور الّتي هي من أكبر الكبائر، وقد صوّر ذلك أفضل تصوير، بشدّة انفعاله، وتغيير وضعيّته المفاجئ من الاتّكاء إلى الجلوس، ليس استراحة من وضعه الأوّل، ولكن إنذارا منه بأنّ شيئاً خطيراً سيحدث، فالتّكرار هنا طريقة من طرق الأداء، يرمي النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام من خلاله إلى بيان شدّة تحريم قول الزّور. ونستفيد من هذا الخطاب النّبويّ كيفيّة التّفاعل باللّفظ والجسد معا لإيصال الحقائق إلى الآخرين، حتّى يكون التّأثير أكبر، ونستفيد كذلك، أنّ التّكرار وسيلة لفظيّة مهمّة، تُستخدم لغرض تعليم النّاس وتوعيتهم.

"و عن أسامة بن زيد، رضي الله عنهما، قال: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الحُرَقَةِ، فَصَبَّحْنَا القَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ، وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ رَجُلًا مِنْهُمْ، فَلَمَّا غَشِينَاهُ، قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَكَفَّ الأَنْصَارِيُّ فَطَعَنْتُهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ، فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّى

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «يَا أُسَامَةُ، أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» قُلْتُ: كَانَ مُتَعَوِّذًا، فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا، حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ اليَوْمِ"[40].

إنّ تكرار النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام لقوله: "**أقتلته بعد ما قال: لا إله إلا الله؟!**" مرّات عديدةً لم يحدّدها أسامةُ بنُ زيد رضي الله عنهما، فيه تنبيه وإنكار شديد على فعله، وأنّ هذا أمرٌ عظيم ليس بالهيّن، وقد ورد في رواية أخرى:" **قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السِّلَاحِ، قَالَ: «أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا؟» فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ"**[41]. فمن شدّة الإنكار وكثرة التّكرار، تمنّى أسامةُ رضي الله عنه أنّه لم يسلم إلّا بعد هذه الحادثة، وليس مقصوده من ذلك أنّه تمنّى لو كان كافراً، لا، وإنّما مقصوده أنّه تمنى لو كان وقع ذلك منه قبل دخوله في الإسلام؛ لأنّ الإسلام يجبّ ما قبله.

يستفاد من ذلك: أنّ المراد بتكرار الكلام أيضا، هو تحذير النّاس، ومطالبتهم بأخذ احتياطات السّلامة، والمكوث في البيت، وإنكار الخروج عليهم، وليعلموا أنّ مخالفتهم لذلك لها عواقب وخيمة، لا ينفع النّدم بعدها.

"**قال عبدالله: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع: ((ألا أي شهر تَعلمونه أعظم حرمة؟))، قالوا: ألا شهرُنا هذا، قال: ((ألا أي بلد تعلمونه أعظم حرمة؟))، قالوا: ألا بلدنا هذا، قال: ((ألا أيّ يوم تعلمونه أعظم حرمة؟))، قالوا: ألا يومنا هذا، قال: ((فإنَّ الله تبارك وتعالى قد حرَّم دماءكم وأموالكم وأعراضكم إلا بحقِّها، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا، ألا هل بلّغت)) ثلاثًا، كل ذلك يُجيبونه: ألا نعم، قال: ((ويحكم – أو ويلكم – لا تَرْجِعُنَّ بعدي كفارًا يَضرب بعضكم رقاب بعض**"[42].

وقد كرّر النّبي عليه الصّلاة والسّلام قوله: "**ألا هل بلّغت؟**"، ليظهر للصّحابة مدى أهمّيّة كلامه، وليبيّن خطورة سفك الدّماء وأكل الأموال وانتهاك الأعراض بغير حقّ، ولا شكّ في أنّ هذا التّكرار زاد اهتمام الصّحابة وشدّةَ حرمة ما ذكره النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام في قلوبهم.

لذا فالمرشد عندما يكرّر كلامه للنّاس، له أن يستعمل أسلوب التّكرار مع طرح الأسئلة الاستنكاريّة؛ لأنّ ذلك يجعل المتلقّين أكثر استجابة وتركيزا، ويزيدُ كلامه حجّيّة، وله أن يحذّرهم من تفاقم الوضع وانتشار الفيروس، مستخدما بعض كلمات التّحذير، مكرّرا إيّاها.

ج . التّكرار للتّأكيد، وجذب الانتباه، والتّركيز على ما يُقال:

التّكرار يعتبر أيضاً ضرباً من ضروب التّوكيد، يقول "**ابن جنّي**": "اعلم أن العرب إذا أرادت المعنى مكّنته واحتاطت له، فمن ذلك التّوكيد، وهو على ضربين : أحدهما تكرير الأوّل بلفظه، وهو نحو قولك: قام زيد، وضربت زيداً ضربت... والثّاني: تكرير الأول بمعناه، وهو على ضربين: أحدهما للإحاطة والعموم، والآخر للتّثبيت والتّمكين، الأوّل كقولنا: قام القوم كلّهم، ورأيتهم أجمعين...، الثّاني، نحو قولك: قام زيد نفسه، ورأيته نفسه"[43]، ومن كلام ابن جنّي نجد أنّ للتّكرار قسمين: أحدهما لفظيّ، والآخر معنويّ.

"عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ : بَيْنَمَا أَنَا رَدِيفُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا آخِرَةُ الرَّحْلِ، فَقَالَ: يَا مُعَاذُ قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ : يَا مُعَاذُ قُلْتُ : لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، قَال: هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَال: حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ العِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوهُ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: حَقُّ العِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لاَ يُعَذِّبَهُمْ"[44].

قال النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام: "**يامعاذ**" ثلاث مرّات، وفي كلّ مرّة يردّ معاذ رضي الله عنه عليه: "**لبّيك وسعديك**"، ثمّ بيّن له عليه الصّلاة والسّلام حقّ الله على عباده، وحقّ العباد على الله إذا هم فعلوا ذلك، وفي الحديث: تواضع النّبي عليه الصّلاة والسّلام إذْ كان معاذٌ رديفا له، وفيه أنّ تكرار المعلّم أو الواعظ للنّداء هو للتّأكيد إلى ما سيقول، ولإثارة انتباه المستمع، وإعداده لحفظ كلامه، وللتّأكيد على أهمّيّة ما يخبر به.

ويستفاد من هذا الحديث أنّه يمكن للمرشد أن يكرّر النّداء، أو جزءا من كلامه، دون أن يتمّه لينال آذانا صاغية، وليؤكّد قوله للنّاس، حتّى ليعوه، ويفهموه، كأن يقول مثلا: أيّها النّاس، أيّها النّاس، أيّها النّاس...، ثمّ بعد ذلك يبدأ في عرض تعليماته.

وللتّكرار غايات أخرى متعددة، كالتّهكم والازدراء، والتّوبيخ، والوعيد، والتّهديد، والاستغاثة، والتّنقيص...، ولا يَخفى أنّ الأحاديث في هذا الباب كثيرة، ولكنّنا أحببنا الإيجاز والإشارة فقط إلى ما يخدم بحثنا، وما يوضّح الفكرة من الأحاديث، ولم يكن غرضنا الجمع والاستيفاء.

3. تهيئة ذهن المتلقّي لاستقبال الخطاب:

الكلامُ لغة التّواصل بين المخاطِب والمتلقّي، وحتّى يكون له أثرٌ مفيد ودور في التّربية والتّعليم والتّدريب والإرشاد، لا بدّ من توفّر بعض المهارات والمواصفات في قائله؛ حتى يبعثَ على التّأثير في النّفوس، ويجذب الألباب نحو فحواه ومحتواه .وللإنصات إلى الكلام أهمّية كبرى، حتّى يصفو ذهن المتلقّي، ويصير مستعدّا لاستيعابه وفهم مغزاه، وقد كان النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام بارعا في إعداد المتلقّين لسماع كلامه، وكان على دراية بضرورة ذلك، نجد ذلك في حجّة الوداع في الحديث الّذي رواه "**عَلِيُّ بْنُ مُدْرِكٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا زُرْعَةَ بْنَ عَمْرِو بْنِ جَرِيرٍ، عَنْ جَرِيرٍ، قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ: «اسْتَنْصِتِ النَّاسَ، لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**»"[45].

في هذا الحديث دليل على ضرورة التزام المتلقّي بأدب الإنصات لمن يعلّمه الخير أو يرشده إليه، لذا كان لزاما على المرشد تنبيه النّاس إلى ضرورة الإنصات، وعلى النّاس الاستماع وعدم الاعتراض على قوله، وألّا يقاطعوه، فإذا فرغ من كلامه فلهم الحقّ في إبداء الرّأي، أو طرح الأسئلة.

وقد قال "**ابن حجر العسقلانيّ**" في شرحه لهذا الحديث: "قال ابن بطّال : فيه أنّ الإنصات للعلماء لازم للمتعلّمين؛ لأنّ العلماء ورثة الأنبياء، كأنّه أراد بهذا مناسبة التّرجمة للحديث، وذلك أنّ الخطبة المذكورة كانت في حجّة الوداع، والجمع كثير جداً، وكان اجتماعهم لرمي الجمار، وغير ذلك من أمور الحجّ، وقد قال لهم: (خذوا عني مناسككم)، كما ثبت في صحيح مسلم، فلما خطبهم ليعلّمهم، ناسب أن يأمرهم بالإنصات. وقال النّووي في شرح الحديث السّابق: " قوله صلّى الله عليه وسلّم: (اسْتَنْصِتِ النَّاسَ)، معناه: مُرْهم بالإنصات، ليسمعوا هذه الأمور المهمّة والقواعد التي سأقرّرها لكم وأحمّلكموها"[46].

لذا على المرشد أن يتأكّد من أنّ من يخاطبه مهيّؤ لتلقّي كلامه، سواء أكان فردا أم جماعة، وسواء كان يخاطبه خطابا مباشرا، أو عن طريق وسيلة من وسائل الإعلام والاتّصال، ولا بدّ له من أن يتحرَّى الأوقاتَ المناسبة، والّتي يتوقّع أن يكون النّاس فيها على استعداد نفسيّ لتلّقي كلامه، وذلك خوفًا على نفوسِهم من السّآمة والضّجر، فإن كان يخاطب النّاس في الشّوارع– مثلا– فلا يأتيهم في الصّباح الباكر، فذلك قد يؤدّي إلى استثقالِ الموعظة وكراهيتِها ونفورِها، فلا تحصُلُ الفائدة المرجوّة، وإنّما يأتيهم في وقت يضمن أن يكونوا مستيقظين، خاصّة وأنّ معظمهم يميل إلى النّوم أكثر بسبب عدم

وجود ما يفعلونه، أمّا إن كان خطابه عبر مواقع التّواصل، فلا ضرر في ذلك.

4. الإلقاء الفعّال، ووضوح الكلام، واعتدال الصّوت:

كان كلام النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام واضحا بيّنا لا عجلةَ فيه، له روعةُ ترتيب وجمالُ نطق، يدلّ على ذلك أحاديثُ منها ما رُوي "**عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ «يُحَدِّثُ حَدِيثًا لَوْ عَدَّهُ العَادُّ لَأَحْصَاهُ»**"[47]. وَ"**قَالَ اللَّيْثُ، حَدَّثَنِي يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّهُ قَالَ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: «أَلاَ يُعْجِبُكَ أَبُو فُلاَنٍ، جَاءَ فَجَلَسَ إِلَى جَانِبِ حُجْرَتِي، يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُسْمِعُنِي ذَلِكَ وَكُنْتُ أُسَبِّحُ فَقَامَ قَبْلَ أَنْ أَقْضِيَ سُبْحَتِي، وَلَوْ أَدْرَكْتُهُ لَرَدَدْتُ عَلَيْهِ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يَسْرُدُ الحَدِيثَ كَسَرْدِكُمْ»**"[48].

ويؤكّد ذلك –أيضا– شرحُ **ابن حجر العسقلانيّ** للحديث إذ يقول: "قولُها: (لَوْ عَدَّهُ الْعَادُّ لأَحْصَاهُ)، أي: لو عدَّ كلماته أو مفرداته أو حروفه لأطاق ذلك وبلغ آخرها، والمراد بذلك المبالغة في التّرتيل والتّفهيم...، وقولها: (لَوْ أَدْرَكْتُهُ لَرَدَدْتُ عَلَيْهِ)، أي: لأنكرتُ عليه وبيّنتُ له أنّ التّرتيل في التّحديث أولى من السّرد، وقولها: (لَمْ يَكُنْ يَسْرُدُ الْحَدِيثَ كَسَرْدِكُمْ)، أي: يتابع الحديث استعجالاً بعضه إثر بعض؛ لئلاّ يلتبس على المستمع، زاد الإسماعيليّ من رواية ابن المبارك عن يونس: (إنّما كان حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فصْلاً تفهمه القلوب) " [49].

هذا في ما يتعلّق بوضوح الصّوت وترتيبه، أمّا في ما يتعلّق باعتدال الصّوت، "**فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَبَاحٍ، عَنْ أَبِي قَتَادَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِأَبِي بَكْرٍ وَهُوَ يُصَلِّي يَخْفِضُ مِنْ صَوْتِهِ، وَمَرَّ بِعُمَرَ يُصَلِّي رَافِعًا صَوْتَهُ، قَالَ: فَلَمَّا اجْتَمَعَا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ: "يَا أَبَا بَكْرٍ مَرَرْتُ بِكَ وَأَنْتَ تُصَلِّي تَخْفِضُ مِنْ صَوْتَكِ". قَالَ: "قَدْ أَسْمَعْتُ مَنْ نَاجَيْتُ. وَمَرَرْتُ بِكَ يَا عُمَرُ: وَأَنْتَ تَرْفَعُ صَوْتَكَ". قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! احْتَسَبْتُ بِهِ، أُوقِظُ الْوَسْنَانَ، وَأَحْتَسِبُ بِهِ، قَالَ: فَقَالَ لِأَبِي بَكْرٍ: "ارْفَعْ مِنْ صَوْتِكَ شَيْئًا". وَقَالَ لِعُمَرَ: "اخْفِضْ مِنْ صَوْتِكَ"**"[50].

يستفاد ممّا سبق: أنّه لا بدّ للمرشد من اختيار لغة سهلة بسيطة ذات معنى، يفهمها كلّ متلقّ، لأنّه يُخاطب جميع فئات المجتمع، من صغير وكبير ورجل وامرأة ومثقّف وجاهل ...، ولا بدّ من الاعتماد على اللّغة المنطوقة أكثر من المكتوبة؛ لأنّ اللّغة المنطوقة مع ما يصاحبها من تعبيرات

الجسم والوجه والعينين، وأسلوب التّعجّب أو الاستفهام أو الاستنكار، تجعل التّواصل أكثر تأثيرا وتفاعلا مع النّاس من اللّغة المكتوبة. وعليه الاختصار والعناية بمخارج الأصوات، ومراقبة ردود أفعال النّاس، وعدم التّعالي عليهم، والتّثبّت والتّأكّد من صحّة المعلومات الّتي يخبرهم بها، وعدم التّهويل والإرعاب، ولا بدّ من إخبارهم بما يحتاجونه فقط. ولْيتجنّب استخدام أو ترديد كلمات وجمل توحي بالأمر والإلزام، مثلا، إيّاكم والخروج من بيوتكم، من يخرج سوف يُعاقَب... إلخ، لأنّ مثل هذه العبارات قد تهيّج البعض وتثيرهم، وتذلّ البعض الآخر.

وقد كان النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام إذا أنكر فعلَ فاعل أمام النّاس، لا يعرّض به، ولا يذكر اسمه، ولا يحدّد شخصه، وإنّما يقول: "**مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا؟**"[51].

وعلى المرشد أن يقتدي بهذا المنهج النّبويّ في الإنكار، بألّا يذكر أمام النّاس أسماء أشخاص أو عائلات مصابة بالوباء، أو أخرى لم تلتزم بالتّعليمات، حتّ لا يشهّر بها، وإنّما يكتفي بذكر المناطق الموبوءة، وعدد المصابين.

ويلزمُه أن يُلبس المعلومات والتّعليمات الّتي يقدّمها عباءة إنسانيّة، ويتخيّر الألفاظ المناسبة لها، ويجعلها أكثر ملائمة لمشاعر وأحاسيس النّاس، فهم خلال فترة هذا الوباء يحتاجون إلى الدّعم النّفسيّ أكثر من أيّ شيء آخر. وهذا ظاهر في قول النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام: "ما بال أقوام...؟"، فهذه الكلمة استعملت للإنكار، لكن لا يخفى ما فيها من رفق ولين.

والإلقاء الفعّال يكون من خلال تميّز المرشد بالخصائص التّالية:

أ . قوّة الصّوت وشدّته: ولا شكّ في أنّ مكبّرات الأصوات والتّكنلوجيا الحديثة قد قلّلت من مشكلة الصّوت لدى الكثير من المرشدين، لكنّ قوّة الصّوت وشدّته خاصّية مهمّة جدّا، يظهر فيها حرص الملقي وأهمّيّة ما يلقيه.

ب . طبقة الصّوت: لا بدّ من التّدرّب على تعديل طبقة الصّوت، فالصّوت الهادئ يدلّ على ثقّة فى النّفس، وقدرة على التّحكّم فى العبارات، كما أنّ مرونة الأداء تحمل النّاس على الإقبال على صاحبه والإصغاء إليه. و"يتضمّن التّواصل الحقيقيّ في معظمه تغييرا معتدلا في اهتزاز الصّوت، فالصّوت الرّتيب يتضمّن تغييرا طفيقا في الاهتزاز، أو لا يتغيّر البتّة، وقد يُنظر إليه كونه إشارة إلى اللاّمبالاة أو الملل، أمّا الصّوت ذو الاهتزاز المرتفع، ففيه دلالة على الانفعال أو الإثارة"[52].

ج. نوع الصّوت: إذا كان لدى المرشد بعض العيوب في صوته، فليحاول قدر استطاعته تجنّبَها، مثل (الخنف، الخشونة، الحدّة، الزّعيق، البحّة، أو الانخفاض؛ فالصّوت المنخفض الرّتيب قد يؤدّي إلى الكآبة ولا يوصل الرّسالة، والصّوت الحادّ قد يؤدّي إلى صخب وتشتيت الانتباه، وربّما يتمنّى النّاس لو يسكت صاحبُ الصّوت، "وهناك ارتباط بين تحسين الصّوت ووضوح الكلام، ولا بدّ من حرص المحاور على التّدريب المنظّم الّذي يحسّن صوته، ليسمعه جمهوره بوضوح ويتفاعل مع طرحه..."[53].

5. إتاحة الفرصة للمستمعين لمتابعة الكلام والإنصات إليه:

كان النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام يعطي الفرصة للمتلقّين ليفهموا كلامه ويحفظوه ويسترجعوه، وذلك بسكوته أثناء هذا الكلام، ولذلك فائدة جليلة لإثارة انتباههم وترتيب أفكارهم، نجد ذلك مثلا، في حديث حجّة الوداع، **"فَعَن أبي بكرة τ عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال :(أيّ شهر هذا) ؟. قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتّى ظننّا أنه سيسمّيه بغير اسمه، قال: (أليس ذا الحجة) ؟ قلنا: بلى...** "[54]. أمّا إذا استدعى الموقف غير ذلك – كأيّامنا هذه–، كمقام التّحذير أو الغضب، فإنّه يستعمل أسلوبا مغايرا موافقا لذلك المقام، وكمثال عن ذلك، نذكر إنذاره عليه الصّلاة والسّلام لقريش على جبل الصّفا، **"فعَنْ قَبِيصَةَ بْنِ الْمُخَارِقِ، وَزُهَيْرِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَا: لَمَّا نَزَلَتْ{وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ}[الشعراء: 214]، قَالَ: انْطَلَقَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى رَضْمَةٍ مِنْ جَبَلٍ، فَعَلَا أَعْلَاهَا حَجَرًا، ثُمَّ نَادَى «يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافَاهْ إِنِّي نَذِيرٌ، إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ رَأَى الْعَدُوَّ، فَانْطَلَقَ يَرْبَأُ أَهْلَهُ، فَخَشِيَ أَنْ يَسْبِقُوهُ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ، يَا صَبَاحَاهُ»"**[55].

فقد استخدم عليه الصّلاة والسّلام عبارات موافقة لمقام الإنذار، تدلّ على انفعاله، وتنبّه النّاس على خطورة ما يقوله لهم، و"التّعبير عن الموقف بكلمة (يربأ) تعبير دقيق مصيب، ثمّ اختياره صلّى الله عليه وسلّم لكلمة (يهتف)، ومعناها: يصيح ويصرخ؛ لأنّه خشي أن يسبقه العدوّ فيدهم قومه، وهو يهتف بهذه الكلمة المعبِّرة: (يا صباحاه)، وهي كلمة يعتادونها عند وقوع أمرٍ عظيم،فيقولونها ليجتمعوا ويتأهبوا له، ومن هنا تظهر الدقّة في اختيار الألفاظ ووضعها في مكانها المناسب" [56].

لذا يستفاد ممّا سبق: أنّه لا بدّ للمرشد من استخدام فترات صمت، مثلا: من ثلاث إلى خمس ثوان، وتحديد النّبرة الّتي يخاطب بها النّاس، حسب خطورة الخبر أو التّعليمات الّتي يعرضها عليهم، وأن يكون ذلك بأسلوب يسهُلُ فهمُه.

خاتمة:

نقدّم فيما يأتي أهمّ النّتائج الّتي توصّلنا إليها من خلال بحثنا:

- الخطاب النّبويّ له استراتيجيّات تواصليّة مُحكمة يمكن الاستفادة منها، باستنباطها، وجعلها منهجا للتّواصل اللّفظيّ وغير اللّفظيّ.
- منهج الخطاب النّبويّ نظريّ وعمليّ، فقد خاطب النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام النّاس بقوله، وعلّمهم بفعله وهم ينظرون، لتصل إلينا السّنّة قوليّة وفعليّة.
- من أساليب التّواصل اللّفظيّ لدى النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام: الحوار، التّكرار، تهيئة ذهن المتلقّي لاستقبال الخطاب، الإلقاء الفعّال ووضوح الكلام واعتدال الصّوت، إتاحة الفرصة للمستمعين لمتابعة الكلام والإنصات إليه.
- الخطاب فعل اجتماعيّ، ومن أجل إنجاحه لا بدّ التّواصل الفعّال بين أفراد كلّ مجتمع، استفادة من أساليب التّواصل النّبويّ، لذا فتعلّمها ضرورة ملحّة لكلّ مرشد ومصلح.
- لا يعتمد نجاح الخطاب وتحقيق التّواصل النّاجح والفعّال على المخاطِب وحده، بل إنّ للمتلقّي دورا لا يقلّ عن دور المخاطِب، لذلك فإنّ القضاء على فيروس كورونا يتطلّب تعاونا من الجميع.
- لابدّ للمرشد من مراعاة السّياق الّذي يلقي كلامَه فيه، ومراعاة أحوال المخاطَبين وحالتهم النّفسيّة والثّقافيّة والاجتماعيّة، والزّمان والمكان، وكلّ ما يحيط بخطابه...
- اللّغة هي هي الوسيلةُ الأولى للتواصلِ والتّفاهم والتّخاطب وبثِّ المشاعر والأحاسيس.
- القدرة على الإقناع والتّأثير هي الغاية الأساسية من تعلّم استراتيجيّات التّواصل.
- لا يتحقق التّواصل الفعّال استنادا إلى معرفة ببِنية اللّغة فقط، وإنّما على أساس مراعاة قواعد استعمالها.
- التّواصل ليس منحصرا في مجال معيّن فقط، بل إنّ له مجالات متعدّدة ومختلفة.
- الهدف من العمليّة التّواصليّة هو الإخبار والإقناع ونقل الرّسائل.
- السّياق هو ما يجعل من الخطاب خطابا، وهو جملة الظّروف والعناصر الّتي تكوّن المواقف والحالات الكلاميّة.

- لا يغني التّواصل اللّفظيّ وحده في أن يحقّق الخطاب الغاية المنشودة بل لابدّ من استعمال المخاطب أساليب التّواصل غير اللّفظيّ.
- يجب أن يكون خطاب المرشد واضحا لائقا ذا أسلوب خال من التّعقيد، مع ضرورة تدعيمه بالحركات والإيماءات وتقاسيم الوجه، والنّبر والتّنغيم والوقف والوصل ووضوح الصّوت وقوّته، وكلّ ما يدعم المعنى الّذي يريد إيصاله.
- الحوار من أهمّ أساليب التّواصل وأجداها في حلّ المشكلات وتجاوز الأزمات، وهو وسيلة مثلى لنقل الأفكار وتبادل المعلومات، وهو يحتاج إلى مرونة في التّعامل، وقدرة على الإقناع، وأكثر من يحتاجه رجال الإعلام، وأصحاب قنوات اليوتيوب، وصفحات مواقع التّواصل الاجتماعيّ.
- إنّ الحاجة ملحّة إلى الغوص في رحاب السّنّة الشّريفة العبقة، وخوض غمارها لننطلق منها نحو فضاء أوسع في حياتنا الاجتماعيّة والعلميّة والعمليّة والتّدريبيّة، بغية الإفادة منها، وجعلها مواقف تطبيقيّة فاعلة، ولنكون أكثر الأمم تمسّكا بها وتطبيقا لها .
- من الصّعب الإحاطة بأساليب الخطاب النّبويّ، فذلك يحتاج إلى مجلّدات، وإلى سنوات من العمل، كيف لا ولم يُعرف عن أحد أنّه دُوّنت سيرته وأقواله وأفعاله في معظمها مثلما عرف عن النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام، وإنّنا بالرّجوع إليها بالبحث والتّحليل نستخرج في كلّ مرّة فائدة جليلة ومعلومة بديعة، ونستفيد أيّما فائدة في أيّ مجال كان.
- إنّ لغة الحديث النّبويّ تهتمّ بتحقيق التّواصل اللّغويّ بين عناصر العمليّة التّواصليّة، من متكلّم، ومستمع، وسياق يكتنف الموقف الكلاميّ؛ وذلك لأنّها لغةُ تَخاطُبٍ يوْميٍّ، ولأنّ نبيّنا عليه الصّلاة والسّلام لا ينطق عن الهوى، فإنّ لغته تعتبر أعلى نموذج بشريّ يمكن دراسته وتحليله والاستفادة منه.
- إنّ إصلاح أمور النّاس و انتظام أحوالهم من أهمّ المقاصد الّتي سعى الخطاب النّبويّ إلى تحقيقها، فكان متّجها إلى الإنسان في حال انفراده واجتماعه، و لعلّ استراتيجيّات التّواصل النّبويّ وقدرتَه على التّعامل مع النّاس وإقناعهم، ترسم سبلا تمكّننا من معالجة ومواجهة كلّ نكبة أو مصيبة تحلّ بنا.

- وباء كورونا هو وباء كسائر الأوبئة الّتي مرّت بالبشريّة، لكن ينبغي عدم الاستهانة به، وأخذ التّدابير اللّازمة للوقاية منه، وأهمّها اتّباع التّعليمات الّتي يقدّمها المرشدون.
- وباء كورونا ليس مشكلة طبّيّة فحسب، بل هو مشكلة نفسيّة واجتماعيّة وثقافيّة وسياسيّة واقتصاديّة في آن، لذا كانت الحاجّة ماسّة إلى تعاون جميع الاختصاصات على اختلاف اهتماماتها ورؤاها وتعدّد مشاربها، ومحاولتها المساعدة –ولو بجهد المقلّ– في القضاء على هذا الوباء واستئصال شأفته.
- لم يدعُ النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام إلى الاستكانة والخضوع والاستسلام في زمن الوباء، وإنّما دعا إلى الأخذ بأسباب الوقاية والعلاج، وليس في ذلك مخالفةٌ للقضاء والقدر، أو ضعفٌ في الإيمان بهما.
- إنّ في مساعدة النّاس والأخذ بأيديهم في زمن الوباء خيري الدّنيا والآخرة، وفاعل ذلك يتميّز بشخصيّة القائد الذّي يحسّ بغيره ويحسن التّواصل معهم، و يمتلك زمام حلّ مشاكلهم والتّخفيف عنهم، وهو هدي النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام.
- الدّعاء والرّجوع إلى الله تعالى أقوى الأسلحة للقضاء على وباء كورونا.

هوامش:

---

[1] . سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت360هـ)، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر، ط02، باب الجيم، بَابُ: وَمِنْ غَرَائِبِ مُسْنَدِ أَبِي ذَرٍّ رَحِمَهُ اللهُ، ج02، ص151.(وصحّحه الألباني في الصحيحة 1803).

[2] . نوّارة بوعيّاد، دراسة تداوليّة للخطاب التّعليميّ الجامعيّ باللّغة العربيّة، مجلّة إنسانيّات،الجزائر، العدد: 14-15، ماي-ديسمبر 2001، ص127.

[3]. أبو محمّد علي بن أبي علي بن محمد الآمدي، الأحكام في أصول الأحكام، تحقيق: أحمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط01، 1980، ج01، ص136.

[4]. المصدر نفسه، ج01، ص136.

[5]. المصدر نفسه، ح01، ص136.

[6]. Emile Benveniste : problèmes de linguistique générale, Edition gallimard – 1966 p 241-242

[7]. عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، ص 45.

[8]– خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط01، 2009، ص 163.

[9]. أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم، منشورات المكتبة العسكرية صيدا ، بيروت، لبنان، دط، 1986م، ، ص 135.

[10]. محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، ، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النّجاة، بيروت، لبنان،ط01، 1422هـ،كتاب فضائل المدينة، بَابُ كَرَاهِيَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تُعْرَى المَدِينَةُ، رقم: 1889، ج03، ص23.

[11]. البخاريّ، المرجع نفسه،كتاب الطّبّ، بَابُ أَجْرِ الصَّابِرِ فِي الطَّاعُونِ، رقم: 5734، ج07، ص131.

[12]. عبد المنعم خليل، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين: دراسة لغوية نحوية دلالية، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر، ط01، 2007م، ص 80.

[13]. محمد بن محمد الحسيني الزبيدي، اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 2016م ج1، ص 556.

[14]. ابن فارس أبو الحسين أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط01، 1399هـ/1979، ج03، ص117.

[15]. تمام حسان: اللغة العربية معناها و مبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب مصر، ط1979،2م،ص 252.

[16]. J. Dubois : dictionnaire de linguistique, Larousse, paris 1973, pp120-121.

[17]. طه عبدالرحمن، اللسانيات والمنطق والفلسفة، مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية،المغرب، ع 2، 1988م، ص: 121.

[18]. نصر حامد أبو زيد– النص، السلطة، الحقيقة،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1997م،ص98.

[19]. محمد خطابي، لسانيات النص: مدخل إلأى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط01، 1991م، ص56.

[20] . البخاريّ، مرجع سابق، رقم: كتاب أخبار الآحاد، بَابُ مَا جَاءَ فِي إِجَازَةِ خَبَرِ الوَاحِدِ الصَّدُوقِ فِي الأَذَانِ وَالصَّلاَةِ وَالصَّوْمِ وَالفَرَائِضِ وَالأَحْكَامِ، 7246، ج09، ص86.

[21] . ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم (711ه) ، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط03، مادة "وصل"، ج11، ص726.

[22] . جميل حمداوي، التّواصل اللّسانيّ والسّيميائيّ والتّربويّ،(نسخة إلكترونيّة منشورة على مجلّة المثقّف)، ط01، 2015م،ص06، http://www.almothaqaf.com/qadayaama/qadayama-14/176-books/893919

[23] . أبو النصر، مدحت محمد، لغة الجسم: دراسة في نظرية الاتصال الإنساني غير اللفظي، ، مجموعة النيل العربية، القاهرة، مصر، ط1 ، 2006م، ص18.

[24] . عبد الحميد الهاشمي، الرسول العربي المربي، دار الثقافة للجميع، دمشق،سوريا، ط1981،01،ص243.

[25] . علوة بنت عابد عبد الله الحسانيّ، الحوار في الحديث النّبويّ الشّريف، دراسة تحليليّة بلاغيّة لأحاديث مختارة، مذكّرة ماجيستير (تخصص البلاغة والنّقد)، جامعة أم القرى، كلية الآداب والعلوم الإدارية للبنات بمكة المكرّمة، قسم اللغة العربية، السعودية، 1429ه، 1430ه،ص17 .

[26]. صحيح مسلم، بَابُ تَحْرِيمِ الْكَلَامِ فِي الصَّلَاةِ، وَنَسْخِ مَا كَانَ مِنْ إِبَاحَتِهِ، برقم: (537)، ج01، ص 381.

[27]. صحيح مسلم، المرجع نفسه، بَابُ النَّهْيِ عَنِ ابْتِدَاءِ أَهْلِ الْكِتَابِ بِالسَّلَامِ وَكَيْفَ يُرَدُّ عَلَيْهِمْ، برقم: (2165)، ج04، ص 1706.

[28] . تريسي، براين، تحدثْ لتفوز. ترجمة: مكتبة جرير، الرياض: المملكة العربية السعودية،دط، 2012م، ص69.

[29] . ديل كارنيجي، طريقة سهلة وسريعة للحديث الفعال: أساليب حديثة لتواصل نشط، مكتبة جرير، الرّياض، السّعوديّة، دط، 2005م، ص 307 .

[30] . عز الدين علي السيد،التكرير بين المثير والتأثير،عالم الكتب، بيروت،ط02، 1986م،ص 136.

[31] . فوز سهيل نزال، التكرار في طائفة من أحاديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، عمادة البحث العلمي/جامعة آل البيت،الأردن، المجلد 7، العدد (1/أ) 172-163 ،2011م، ص 163.

[32] . أحمد بن فارس (ت395ه)، الصاحبي في فقه اللغة، تحقيق: مصطفى الشويمي، مكتبة بدران للطباعة والنشر، بيروت،لبنان،1382ه/ 1963م، ص207.

[33] . جوستاف جرونيباوم، حضارة الإسلام، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد وعبد الحميد العباديّ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط01، 1994م، ص106.

[34] . الخطابيّ، بيان إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، تحقيق: حمد خلف الله – محمد زغلول سلام، دار المعارف،القاهرة، مصر، ط03، 1976م، ص 52.

[35] . البخاريّ، مرجع سابق، كتاب العلم، بَابُ مَنْ أَعَادَ الحَدِيثَ ثَلاَثًا لِيُفْهَمَ عَنْهُ، رقم:95،ج01، ص30.

[36] . بدر الدين العيني، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، ضبطه وصححه: عبد الله محمود بن محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 2001م، ج02، ص173.

[37] . البخاري، مرجع سابق، كتاب العلم، بَابُ مَنْ أَعَادَ الحَدِيثَ ثَلاَثًا لِيُفْهَمَ عَنْهُ، رقم:96،ج01، ص31.

[38] . ينظر: بدر الدين العيني، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، ضبطه وصححه: عبد الله محمود بن محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2001،1م ، ج 2ص 173.

[39] . البخاريّ، مرجع سابق، باب الشّهادات، بَابُ مَا قِيلَ فِي شَهَادَةِ الزُّورِ، برقم: 2654، ج03، ص 172.

[40] . البخاريّ، مرجع سابق،كتاب المغازي، بَابُ بَعْثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ إِلَى الحُرُقَاتِ مِنْ جُهَيْنَةَ، رقم: 4269، ج05، ص 144.

[41] . مسلم، مرجع سابق، كتاب الإيمان، بَابُ تَحْرِيمِ قَتْلِ الْكَافِرِ بَعْدَ أَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ،رقم: 15،ج01،ص 96.

[42] . البخاري، مرجع سابق، كتاب الحدود، بَابٌ:ظَهْرُ المؤْمِنِ حِمًى إِلَّا فِي حَدٍّ أَوْ حَقٍّ،رقم: 678، ج08، ص159.

[43] . أبو الفتح عثمان بن جنّي، الخصائص،تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط01، 2001م، ج02، ص 331.

[44] . البخاريّ، مرجع سابق، كتاب الرّقاق، بَابُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، رقم: 6500، ج08، ص105.

[45] . البخاريّ، مرجع سابق، كتاب الدّيّات، بابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:{وَمَنْ أَحْيَاهَا} رقم: 6869، ج09، ص03.

[46] . حسن العدويّ الحمزاويّ، النور الساري من فيض صحيح الإمام البخاري،تحقيق: محمّد العزّاويّ، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط01، 2014، ج01، ص 430.

[47] . البخاريّ، مرجع سابق، كتاب المناقب، بَابُ صِفَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رقم: 3567، ج04، ص190.

[48] . البخاريّ، المرجع نفسه، كتاب المناقب، بَابُ صِفَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رقم: 3568، ج04، ص190.

[49] . ابن حجر العسقلانيّ (شهاب الدّين أبو الفضل أحمد بن عليّ بن محمّد)، فتح الباري شرح صحيح البخاريّ، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز ومحمّد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط04، 2003م، ج06، ص 482.

[50] . ابن خزيمة، صحيح ابن خزيمة، تحقيق: محمد مصطفى الأعظميّ، المكتب الإسلاميّ، بيروت، لبنان، ط03، 1424هـ/2003م،كتاب الصّلاة، بَابُ ذِكْرِ صِفَةِ الْجَهْرِ بِالْقِرَاءَةِ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ، وَاسْتِحْبَابِ تَرْكِ رَفْعِ الصَّوْتِ الشَّدِيدِ بِهَا، وَالْمُخَافَتَةِ بِهَا، وَابْتِغَاءِ جَهْرٍ بَيْنَ الْجَهْرِ الشَّدِيدِ وَبَيْنَ الْمُخَافَتَةِ، رقم: 1161، ج01، ص574.

[51] . مسلم، مرجع سابق، كتاب النّكاح، بَابُ اسْتِحْبَابِ النِّكَاحِ لِمَنْ تَاقَتْ نَفْسُهُ إِلَيْهِ، وَوَجَدَ مُؤَنَهُ، وَاشْتِغَالِ مَنْ عَجَزَ عَنِ الْمُؤَنِ بِالصَّوْمِ، رقم: 1401، ج02، ص1020.

[52]. سلاف شهاب الدّين يغمور، التّواصل غير اللّفظيّ في الإبانة والتّواصل، نماذج تطبيقيّة ومقولات كلّيّة، (رسالة ماجيستير)، كلّيّة الآداب، دائرة اللّغة العربيّة وآدابها، جامعة بيرزيت، فلسطين، 2019م، ص21.

[53] . العشماوي، عبد الرحمن بن صالح ، فن الإلقاء المتميز، ، مكتبة العبيكان، الرياض: المملكة العربية السعودية، ط01، 2010،1431م، ص87.

[54] . مسلم، مرجع سابق، كِتَابُ الْقَسَامَةِ وَالْمُحَارِبِينَ وَالْقِصَاصِ وَالدِّيَاتِ، بَابُ تَغْلِيظِ تَحْرِيمِ الدِّمَاءِ وَالْأَعْرَاضِ وَالْأَمْوَالِ، رقم: 1679، ج03، ص1305.

[55] . مسلم، مرجع سابق، كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} [الشعراء: 214]، رقم: 207، ج01، ص193.

[56]طه عبد الباري، أثر التشبيه في تصوير المعنى، قراءة في صحيح مسلم، مكتبة وهبة للطّباعة والنّشر، القاهرة، مصر، ط1، 1992م، ص68.